معالم التجديد في الادب

يعتبر اوائل العهد السعودى في الحجاز ـ من سنة ١٩٢٤ الى سـنة ١٩٤٥ م ـ بداية حقيقية للادب الحديث في بلادنا ، لما واكب ذلك العهد من انفتاح تدريجي على العالم الغارجي ، ووضع الاسس لنهضة فكرية وعمرانية شـاملة • أما في أواخـر العهد العثماني وطيلة العهد الهاشمى فقد كانت البـلاد تعيش فيما اصـطلح على تسميته بين الباحثين بعصور الضعف او عصور الانحطاط • حقا انها صحت فجأة في العهد الهاشمى (١٩١٦ ـ ١٩٢٤) ـ ولكنها صحوة سياسية مصطنعة ، ولم تكن البلاد مهياة اجتماعيا او فكريا لتحقيق طموحها السياسى •

لم يحتل الادب مكانة تذكر في اى من صحافة العهد التركى او الهاشمى • كان غريبا أعجميا في الاولى ، كما كان « عبدليا » مشغولا بالسياسة في الثانية • وفي كلتا الحالتين كان الشبان من أدباء البلاد بعيدين كل البعد عن معترك الانتاج والكتابة ، اما لصغر سنهم ، أو لجهلهم ، أو لسلبيتهم وانطوائهم • ومع اعترافنا بتأثير صحيفة « القبلة » الهاشمية في نفوس الناشئة من الادباء المحليين وفي أفكارهم ، الا أنه تأثير محدود على اى حال ، ولم تظهر ثماره الا في فترة متاخرة بعض الشيء ، وفي مستهل العهد السعودى في الحجاز على وجه التحديد • ولا أعتقد أن كلام الشيخ محمد سرور الصبان يمكن ان يحمل محمل التواضع عندما قال عن مجموعة النماذج الادبية التى اختارها « للناشئة الحجازية » ونشرها حوالى سنة ١٩٢٦ م : « •• اني اصدر هذه المجموعة الشعرية والنثرية من عمل شبيبة اليوم وانا شاعر بما فيها من قصور ، وانا شاعر ان

د٠ منصور ابراهيم الحازمى
عميد كلية الآداب ـ جامعة الرياض

السعودى بين الحربين العالميتين

قيمتها الادبية ربما لا تساوى شيئا في سوق الادب ، بل ربما تكون محل سـخرية من البعض كما تكون محل عطف وتشجيع من آخـرين » (١) ٠

ولكن الحياة أخذت تتغير صورتها في نفوس أدبائنا عند ما بدأ جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود يزحف بجيوشه زحف الامام المصلح ويغير وجه التاريخ ٠ فاذا الجزيرة العربية ، بعد فترة من الكفاح والجهاد ، موحدة بعد تمزق ، قوية بعد ضعف ، طامحة فرحة بعد اكتئاب ويأس ٠ ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان الملك عبد العزيز هو أول من مهد لارساء دعائم النهضة الادبية والفكرية في بلادنا ، ذلك لان زعامته لا تقتصر على الناحيتين السياسية والحربية فحسب ، بل كانت شاملة لكافة الميادين الاخرى التى لا بد منها لنهضة أمة من الامم٠ واذا كانت بداية النهضة الادبية في مصر تؤرخ بحكم الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) ، فان بداية هذه النهضة تؤرخ في بلادنا بحكم الملك عبد العزيز الذى شجع الصحافة.وشجع حرية القول وأنشأ

---

(١) ادب الحجاز أو صفحة فكرية من ادب الناشئة الحجازية شعرا ونثرا ـ جمعه ورتبه محمد سرور الصبان ، (مطبعة مصر ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٨ هـ ـ الطبعة الاولى حوالى سـنة ١٩٢٦) المقـدمة ، ص ١٠ ٠

دور العلم وبعث البعوث الى خارج البلاد وقام بالكثير من أوجه الاصلاح الدينى والاجتماعي والاقتصادى الى غير ذلك ·

● البحث عن كيان :

لقد كانت البلاد في أوائل العهد السعودى في حالة تكون وانبعاث · فمن الناحية السياسية كانت الخريطة الجغرافية تتغير وتتسع تدريجيا منذ فتح الملك عبد العزيز للرياض سنة ١٩٠٢ م ، وحتى اعلان البلاد وحدة سياسية تحت اسم جديد هو : « المملكة العربية السعودية » سنة ١٩٣٢ م · ومن الناحية الاجتماعية نرى الحواجز تزول قليلا قليلا بين سكان المدن والمناطق المتباعدة لتحل محلها وحدة وطنية تجمعها العقيدة والتاريخ المشترك · ومن الناحية الاقتصادية نرى الجهود تبذل لتنمية موارد البلاد وتشجيع قيام الشركات والصناعات المحلية وتطوير الزراعة والمرافق الأخرى ·

كانت بلادنا تولد من جديد ، وكذلك كان أدباؤنا الذين عاشوا تلك الحقبة التاريخية وشاهدوا ما يحدث فيها من تحول وتطور · لقد ملأت الاحداث نفوسهم وشعروا بشيء غير قليل من الزهو والاعتزاز ، الامر الذى جعلهم يبحثون عن كيان لأدبهم يواكب الكيان الجديد الذى صنعه عبد العزيز وهيأه لهم في المجالات الأخرى · ومن مظاهر هذا البحث رجوعهم الى الماضى يستنطقونه ويلتمسون فيه القوة والالهام بل يلتمسون فيه شخصية الامة التى توارت وبهتت ملامحها ابان فترات الضعف والتخلف والانهيار · ولعل ما كتبه محمد سعيد عبد المقصود ومحمد حسن فقى وغيرهما من كتاب تلك الفترة عن أدب الحجاز في عصوره الماضية ، (٢) وما كتبه عبد القدوس الانصارى (٣) واحمد راشد الأحسائي (٤) عن ابن المقرب شاعر الاحساء ، لا يعدو أن يكون تعبيرا نفسيا عن رغبة أدبائنا الملحة في البحث عن الحافز او المثل ، أو هو محاولة لايجاد الجذور المحلية للأدب السعودى الناشيء آنذاك·

كان أدباؤنا خلال تلك الحقبة يبحثون عن الماضى ، ولكنهم كانوا من جهة أخرى ينظرون الى الحاضر والمستقبل · ولم يكن حاضرهم الادبى مما تطمئن اليه نفوسهم الطامحة او تقنع به ضمائرهم · لقد صحوا فجأة على واقعهم فوجدوا أن ما

---

(٢) انظر : محمد سعيد عبد المقصود (الغربال) الادب في أدواره التاريخية في الحجاز جريدة صوت الحجاز ، الاعداد : ١١٨ ، ١١٩ ، س ٣ (١٩٣٤ م) ص ٣،٢ وانظر لعبد المقصود ايضا : « الأدب الحجازى والتاريخ » ـ جريدة « أم القرى » ، الاعداد : ٦٠٨ ، ٦١١ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦٢٠ ، س ١٢ ـ ١٣ (١٩٣٦) ·

(٣) « الامير على بن مقرب العيونى شاعر العربية والحماسة والاباء » ـ جريدة صوت الحجاز ، الاعداد ٢٢١ ـ ٢٢٦ ، س ٥ (١٩٣٦ م) ، ص ٤ ·

(٤) « حول ابن مقرب » ، صوت الحجاز ، ع ٢٣١ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٤ ·

تجود به قرائحهم يبتعد أشواطا عما يقرؤونه لاقطاب الادب والفكر في البلدان العربية المجاورة • ومن ثم فقد رأيناهم يتنادون باسم الادب ويحمس بعضهم بعضا ، ومعظمهم غلمان تنقصهم الثقافة والخبرة، ولكن نفوسهم تتفجر، مع ذلك، غيرة وحمية•

كانت الصحافة هي المجال الوحيد لاقلام أدبائنا بين الحربين ، فاقبلوا عليها يصولون ويجولون ، ويخوضون ــ شعرا ونثرا ــ في شتى الموضوعات • ويبدو أنهم كانوا يتعجلون النضج والشهرة ، كما نلاحظ حرصهم على رعاية وليدهم الناشيء ــ الأدب السعودى الحديث ــ في مظاهر عدة منها :

أولا : محاولة التاريخ لهذا الادب على الرغم من ضآلة محتواه وقصر امتداده الزمنى • وقد رأى بعضهم في الثورة العربية سنة ١٩١٦ م بداية معقولة لميلاد الادب الحديث في الحجاز ، مع ملاحظة أن التقليد ما زال الطابع العام لهذا الادب حتى الثلاثينات من هذا القرن (٥) • ومنهم من لم يكتف بالتاريخ للأدب الحديث في الحجاز بشكل مجمل بل حاول أن يتتبع النشاط الادبى والثقافى لبعض المدن ، كما فعل حسين سرحان الذى كتب في احدى مقالاته عن الأدب في المدينة المنورة وعن العوامل التى أدت الى ازدهاره كدور العلم والنوادى الأدبية (٦) •

ثانيا : السعي الى الحصول على اعتراف بهذا الادب ، وذلك اما بنشر نماذجه في الصحف العربية ، أو بعرضه على بعض أقطاب الادب العربى في البلدان الشقيقة المجاورة • وقد كانت مصر تتمتع بمركز ثقافى ممتاز بين الحربين مما جعلها قبلة لانظار أدبائنا ، لا سيما وأن منهم من أقام فيها مدة طويلة وأسس في عاصمتها بعض الصحف ، كمحب الدين الخطيب وفؤاد شاكر • ونحن لا نعرف على الضبط حجم ما نشر لكتابنا في صحافة مصر ابان تلك الفترة ، ولكنه يدل على أى حال على رغبة أدبائنا في أن تسمع أصواتهم خارج البيئة المحلية (٧) ، وفي مصر على وجه الخصوص التى كانت تعتبر عكاظا للبلدان العربية قاطبة في تلك الحقبة •

وطبيعى أن يسعى أدباؤنا الى عرض بضاعتهم في تلك السوق الادبية الكبرى ، التى كان من نوابغها ونقادها طه حسين والعقاد وهيكل والمازنى • وقد عرض شيء من انتاج أدبائنا على هؤلاء فحكموا عليه حكما عاما مجملا أحيانا ، وحكما مدققا مفصلا أحيانا أخرى• ولا تخلو أحكامهم من مجاملة أو عطف أو نظرة اشفاق واستعلاء•

---

(٥) انظر محمد حسن فقى : « في اى طور نحن من أطوار حياتنا الفكرية » ، صوت الحجاز ، ع ٢٠١ ، س ٥ (١٩٣٦) ص ١ •

(٦) « مشاهدات ــ الأدب في المدينة » ــ صوت الحجاز ، ع ٢٢٣ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ١ ؛ وانظر ايضا مقالة حمزة أضلنى : « أطوار الأدب في الحجاز على العموم وفي المدينة على الخصوص صوت الحجاز ، ع ١٢٨ ، س ٣ (١٩٣٤) ، ص ٣ •

(٧) انظر ، مثلا ، عبد المجيد شبكشى : « الردود الثلاثة » ، وفي هذا المقال يؤكد الكاتب على ضرورة نشر الانتاج المحلي في الصحف الخارجية ، لما في ذلك من دعاية للأدب الحجازى ، غير ان ذلك ، كما يقول ، يحتاج الى جرأة وشجاعة ــ صوت الحجاز ، ع ٢٢٣ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٣ •

هكذا كتب طه حسين فصله عن الحياة الادبية في جزيرة العرب في كتابه « ألوان » (٨) كما كتب محمد حسين هيكل مقدمته لكتاب « وحى الصحراء » الذى جمع مختاراته كل من محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله بلخير . ومن المعروف تتلمذ احمد عبد الغفور عطار للعقاد وارتباطه به روحيا وفكريا طوال حياته ، وقد كان الاعجاب بينهما متبادلا ، وكتب العقاد للعطار بعض مقدمات كتبه ، كما اشترك الاثنان في عدد من البحوث والمؤلفات .

ثالثا : تشجيع الانتاج الادبى المحلى ، والبحث عن الاسباب التى أدت الى ضعفه وركوده . وبامكاننا ان نلمس ذلك التشجيع واضحا فيما نشر في تلك الفترة على صفحات الجرائد والمجلات المحلية ، وما جمع من انتاج ادبى فيصورة مختارات تضمها كتب مستقلة . ولم يكن التشجيع في معظم الاحيان صادرا من شيوخ الادب الى الناشئة من المتادبين ، بل كان تشجيعا يتبادله الشباب من الاقران والاصدقاء ، ومنهم من لا يزال على مقاعد التحصيل والتلمذة في ذلك الوقت . وقد طالب بعضهم بتشجيع التاليف والنشر (٩) ، والكف عن النقد الذى من شانه أن يقتل المواهب الغضة ويعوق الحركة الأدبية (١٠) ، كما وجه أحدهم اللوم الى بعض النقاد لانه قسا في نقده على بعض شعراء الشباب وذكره بأن أدبنا لا يزال في المهد ، وانه أولى بالتشجيع وبالنقد المعقول (١١) .

ولكن ذلك الحدب على أدبنا الناشىء بين الحربين لم يمنع فريقا من كتابنا من النظر الى الامور نظرة واقعية ، ومحاولة تشخيص الداء والبحث عن علاج . وقد ربطوا بين تأخر التعليم وضعفه وتأخر الفكر والادب (١٢) . وأوضح محمد سعيد العامودى ـ في احدى مقالاته سنة ١٩٣٦ ـ أن الغالبية العظمى من أدبائنا في تلك الآونة كانوا ضعافا في ثقافتهم العربية القديمة من جهة ، وضعافا في ثقافتهم الغربية من جهة أخرى . وهو يرى أنه لكى ينهض أدبنا فلا بد أن يكون قويا

---

(٨) يبدو ان طه حسين لم يكن ليهتم بالأدب الحديث في الجزيرة العربية لولا الحاح بعض الرواد من ادبائنا الشباب الذين كانوا في شوق الى سماع كلمة اطراء او تشجيع من اعلام الأدب في تلك الفترة. انظر ، مثلا ، مقالة احمد عبد الغفور عطار : « ساعة مع الدكتور طه حسين بك » وفيها يذكر انه قام بزيارة طه حسين في منزله وانه القى عليه جملة من الاسئلة عن الأدب الحجازى . جريدة « صوت الحجاز » ، ع ٢٤٣ ، س ٥ (١٩٣٧) ، ص ١ .

(٩) احمد ابراهيم الغزاوى : « تشجيع حركة التاليف » ، جريدة « أم القرى » ، ع ٤١٧ ، س ٩ (١٩٣٢) ، ص ٤ ، وانظر ايضا ع . ق : « الى الأدباء ـ حاجتنا الى مؤلفات حجازية » ـ صوت الحجاز ، ع ٢٢٤ ، س ٥ (١٩٣٦) ص ٤.

(١٠) افتتاحية ، صوت الحجاز ، ع ٩٦ ، س ٢ (١٩٣٤) ، ص ١ .

(١١) اياه : « تعليقات » ، صوت الحجاز ، ع ٢٣٤ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ١ .

(١٢) انظر عزيز ضياء : « العلم » ، صوت الحجاز ، ع ١٥٩ ، س ٤ (١٩٣٥) ، ص ٤ .

مبتكرا متحمسا صادقا وأن يستلهم التراث الاسلامى والماضى المجيد للامة العربية (١٣)

وبحث أدباؤنا كذلك عن زابطة تجمعهم وتوحد جهودهم ، وتدفع بهم الى تنمية مداركهم وشحذ مواهبهم (١٤) ٠ وقد تمخضت تلك الرغبة عن تأسيس نادى « الشباب العربي السعودى المتعلم » بالمدينة المنورة الذى كان له دور ملحوظ في تنشيط الحركة الثقافية فيها ٠ كما تأسست في مكة المكرمة سنة ١٩٣٦ م جمعية الاسعاف الخيرى ، التى حولها أدباؤنا الى ناد أدبى يلتقون فيه ويعرضون ما عندهم من انتاج عن طريق النقاش والاحتكاك او عن طريق المحاضرات ٠ ولا شك أن هذه الجمعية قد أسهمت اسهاما كبيرا في استقطاب أقلام الصفوة من أدباء البلاد وعلمائها ومفكريها أثناء تلك الحقبة (١٥) ٠

وفي فترة التكوين هذه ، وعلى الرغم من جهود أدبائنا في خلق البواكير الاولى للادب السعودى الحديث ـ شعره ونثره ، فقد كان هناك احساس لدى الكثيرين منهم بأن ما انتجوه لا يعدو المحاولات الاولى التى لم تقف على قدميها ، ولم تصل بعد الى مرحلة النضج والابتكار ٠ وكان أشد ما يقلقهم الاتجاه الى تقليد النماذج العربية في الافكار والاساليب ، وعدم وضوح الشخصية المحلية (١٦) ٠ والحقيقة أن احساسهم هذا لا يخلو من صدق ، ولكنه كذلك لا يخلو من تشاؤم مصدره مزيج من التمرد على الواقع والشعور بالنقص ، والطموح الى المثل الاعلى ٠

● المؤثرات الخارجية :

لم يكن لادبائنا الرواد مفر من التأثر بأداب البلدان العربية المجاورة ، ولا سيما أدب مصر وأدب المهجر الامريكي ، وقد كانا أكثر الآداب العربية نضجا وحيوية في فترة ما بين الحربين ٠ ولم يكن أدباؤنا ينكرون الفضل ، ولكنهم أخذوا يضيقون تدريجيا بتلك التبعية التى أملتها عليهم الظروف التاريخية املاء ، وودوا ، بمضى الزمن ، لو أنهم استطاعوا الافلات منها والتحرر من قيودها وتبعاتها ٠ يقول عزيز

---

(١٣) محمد سعيد العامودى : «الادب في الحجاز» ـ صوت الحجاز ، ع ١٩٥ ، س ٤ (١٩٣٦) ، ص ٥ ٠

(١٤) متالم : « الرابطة الادبية في بلادنا وضرورة وجود غرف مطالعة ودراسة » ـ صوت الحجاز ، ع ١٦ ، س ١ (١٩٣٢) ، ص ٨ ٠

(١٥) انظر للكاتب : معجم المصادر الصحفية لدراسة الادب والفكر في المملكة العربية السعودية ـ الجزء الاول : صحيفة أم القرى ١٩٢٤ ـ ١٩٤٥ م (مطبوعات جامعة الرياض رقم ٥ ، المطابع الأهلية للأوفست ، ط ١ ، الرياض ، ١٩٧٤) ، ص ٥٢ ـ ٥٤ ٠

(١٦) انظر مثلا : حمزة أضلنى : « أدباؤنا والادب » ـ صوت الحجاز ، ع ١٢٠ ، س ٣ (١٩٣٤) ص ٣ ، عبد الله فدا : « الى الاديبين محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله بلخير » ـ صوت الحجاز ، ع ١٥٤ ، س ٤ (١٩٣٥) ، ص ٢ ؛ عبد القدوس الانصارى : « الحجاز مصدر الادب العربي الراقى ـ فهل لنا ان نعيد له مكانته السامية » ـ صوت الحجاز ع ١٩٥ ، س ٤ (١٩٣٦) ، ص ٦ ٠

ضياء ، في مقالة له سنة ١٩٣٧ م ، انه لا يوجد « عندنا » أدب بالمعنى الصحيح ، اذ ان ما ينشر في جريدتى « أم القرى » و « صوت الحجاز » ليس الا تقليدا للكتاب المصريين · ومع اعتراف الكاتب بمتانة الاساليب الادبية في الحجاز وانها لا تقل عن الاساليب المصرية الا انه يأخذ عليها ميلها الى التقليد ، ويقول ان الادب ليس أسلوبا فحسب ، بل هو روح وقوة وغاية ، وهى معدومة « عندنا » (١٧) ·

أما احمد السباعى فيسلم لمصر بالاستاذية ، لانها في ذلك الوقت كانت الاقوى ثقافة واعلاما وأدبا : « ··· وعلى ذكر الثقافة ، حقيق بى أن أعترف لكم أن مصر بصحفها ومجلاتها ومؤلفاتها ومحطة اذاعتها وقادة الفكر فيها على العموم أساتذة لنا، من موردها ننهل وعلى ضوئها نسير » (١٨) · وكذلك حسين سرحان الذى يوافق السباعى على هذه الحتمية التاريخية ، ولكنه لا يخفى امتعاضه عندما يشير ساخطا الى أن مصر لا تتغلغل بادبها وثقافتها فحسب ، بل انها تتغلغل كذلك بمدنيتها وعاداتها وتقاليدها (١٩) · وفي مقالة لعبد القدوس الانصارى بعنوان : « الاتجاهات الجديدة في الادب الحجازى » يحاول الكاتب أن يؤرخ لهذه الاتجاهات في التأليف والنقد والاساليب الكتابية فيقول ان الادب في الحجاز قد مر بمرحلتين من مراحل التأثر بالآداب العربية المعاصرة ، تأثر في مرحلته الاولى بالأدب المهجرى ، وتأثر في مرحلته الثانية بالأدب المصرى ، والأنصارى يهاجم هنا الآدب المهجرى والمتأثرين به ، وينوه، من ناحية أخرى ، بالأدب المصرى لانه ، على حد تعبيره ، أصح وأعمق (٢٠) ·

ومهما يكن من أمر ، فلقد كان هناك اجماع بين أدبائنا ، على أنهم تأثروا فعلا بالأدبين المصرى والمهجرى في أول عهدهم بالأدب والكتابة · والحقيقة أننا لو استقصينا جوانب هذا التأثر لوجدنا الكثير ، ولا حتاج ذلك الى بحث مستقل ، ولكن يكفينا أن نشير هنا الى الاثر القوى الذى خلفه كل من نعيمه وجبران والعقاد والمازنى وطه حسين · كان نعيمة وجبران يمثلان الادب المهجرى المتطرف في تجديده وآرائه وثورته على القديم ، وكان العقاد والمازنى يمثلان المدرسة المصرية المتوسطة بين تطرف المهجريين الثائرين وتطرف المحافظين التقليديين الذين يمثلهم المنفلوطى والرافعى· أما طه حسين فقد كان ، فيقصة حياته وكفاحه وعناده واعتداده بشخصيته وأسلوبه في الكتابة ، يمثل مدرسة مستقلة لها تلاميذها ومريدوها · وعلى الرغم من الاختلاف بين هؤلاء الاعلام فقد كانوا دعاة تجديد ، وكانوا يجمعون بين الخلق الفنى وبين الدراسة والنقد · ولم تقتصر مواهبهم الفنية على قالب أدبى فحسب ، بل كان كل واحد منهم يجمع بين قالبين أو اكثر · كان العقاد شاعرا وقصصيا وكاتب مقال ، وكذلك كان جبران ــ وكان المازنى قصصيا وكاتب مقال ، وكذلك

---

(١٧) عزيز ضياء : « غاية الادب عندنا » ــ صوت الحجاز ، ع ٢٤٢ ، س ٥ (١٩٣٧) ، ص ٤ ·

(١٨) احمد السباعى : « الحجاز يمر الى اليوم في ستة أدوار تاريخية » ــ صوت الحجاز ، ع ٢٤٠ ، س ٥ (١٩٣٧) ، ص ١ ·

(١٩) حسين سرحان : « مشاهدات في المدينة » ــ صوت الحجاز ، ع ٢٣٤ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ١ ·

(٢٠) جريدة صوت الحجاز ، ع ١٧٠ ، س ٤ (١٩٣٥) ، ص ٤ ·

كان نعيمة وطه حسين · وسواء في انتاجهم الفنى أو في دراساتهم ونقدهم ، فقد كانوا يجمعون بين التراث العربي وبين الثقافة الغربية ـ وليس واحد منهم الا وأثار ضجة بانتاجه الادبى ، او بدراسته ونقده : العقاد والمازنى بـ « الديوان » ، ونعيمه بـ « الغربال » ، وطه حسين بـ « الشعر الجاهلي » ، وجبران بعواصفه ونبيه ودموعه وابتساماته الخ ·

لا غرو ، اذن ، أن يتأثر جيل الرواد من أدبائنا السعوديين بذلك البريق الذى كان ينبعث من البيئات العربية المجاورة ، وأن يحاولوا أن يقبسوا منه ما يفيد بلادهم في مجالي الحياة والأدب · ولعل كتاب « خواطر مصرحة » ، الذى نشره محمد حسن عواد سنة ١٩٢٦ م ، هو اول انتاج أدبى محلى نرى فيه عنف النقد وجرأته وحريته ، وهى الصفات التى كانت غالبة على كتابات العقاد ورفاقه في هذه الفترة · ولم يكن نقد العواد مقتصرا على الادب ، بل كان منصبا في الدرجة الاولى على نقد الحياة الاجتماعية المحلية ، ومحاولة اصلاح عيوبها ومثالبها · ومع ذلك ، فان العواد فيما يبدو ، كان يطمح الى أن يحدث كتابه ضجة وأن يثير معارك لا تقل عن تلك التى أحدثها « الديوان » أو « الغربال » · ولعل الكاتب أراد أيضا أن يكون مؤلفه نقطة تحول في تاريخ الادب السعودى الحديث ، وربما كان الامر كذلك في نظر العواد ونظر الكثيرين من تلاميذه والمعجبين به (٢١) ·

ولقد ظهر أثر المهجريين والسوريين واضحا في كتيب آخر صدر في نفس الفترة التى صدر فيها كتاب العواد ، وهو الكتيب الذى جمع فيه المرحوم محمد سرور الصبان نماذج من انتاج الادباء المحليين ، شعرا ونثرا · فمنهم من عارض بدوى الجبل في ميميته : « لا تلمه اذا أحب الشآما » ، ومنهم من نسج على منوال ميخائيل نعيمة في قصيدته : « يانهر » (٢٢) ، وأعجب معظمهم بجبران فراحوا يدبجون القطع النثرية التى تنبض بالشعر والخيال (٢٣) ·

ومن الجدير بالذكر أن التاثير المهجرى لم يختف من الادب السعودى طوال فترة مابين الحربين ، وان أخذت حدته تخف تدريجيا بتقدم الزمن ، ليفسح مكانا اوسع للادب المصرى · وقد جمع أحمد السباعي بين رومانسية جبران وسخرية المازنى والبشرى وطه حسين · ولكنه في روايته « فكرة » ـ التى نشرها عام ١٩٤٨ م ـ كان لا يزال اقرب الى روح جبران في تمرده وهيامه بالحرية والحياة البدائية البسيطة · والسباعى يعترف بالاثر البالغ الذى تركه جبران في نفسيته وتفكيره اذ يقول : « استطاع (جبران) أن يستحوذ على مقدراتى في الحياة ، وأن يترك أثره في توجيهى،

---

(٢١) انظر : خواطر مصرحة (مطبعة المدنى ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦١) ، المقدمة ، صفحة ط ومابعدها·

(٢٢) ادب الحجاز ، ص ٢٩ ، ٤٠ ·

(٢٣) المصدر نفسه ، انظر مثلا قطعة نثرية بعنوان « وحدتى » ، ص ١١٧ ، وقطعة نثرية أخرى لمحمد عمر عرب بعنوان : « ايه من أسطورة الحب » ، ص ١٢٥ ·

ويعلمنى كثيرا من شذوذه على القواعد العامة ، وما تعارف الناس عليه من أوضاع واصطلاحات، وصاغنى صياغة عاتية لاتقر المبادىء التى لايقرها عقل أومنطق » (٢٤)

وبالاضافة الى هذا التيار الواضح في انتاج أدبائنا الرواد ، فلقد كان هناك تيار آخر ـ تيار غربى ، وصل اليهم عن طريق الترجمة او عن طريق قراءاتهم للآثار العربية المتاثرة بالثقافة الغربية. لقد عرفوا شكسبير وورد زوت وبيرون وشيلى وهازلت عن طريق خليل مطران والعقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى ، كما عرفوا جوجول وموباسان وفلوبير وجوركى ودستوفسكى عن طريق محمد تيمور ومحمود تيمور وهيكل وطه حسين . عرفوا هؤلاء وكثيرا غير هؤلاء . ولكن معرفتهم بهم لم تكن على درجة كبيرة من القوة أو العمق بل لا تعدو في معظم الاحيان أن تكون معرفة عابرة لا تتجاوز المعارضة أو ذكر الاسماء ، أو الاشارة العجلى الى الافكار والنظريات . فاساتذة أدبائنا كانوا في الحقيقة عربا ولم يكونوا أوربيين ـ أى أن تأثرهم بمدرسة المهجر ومدرسة الديوان ومدرسة ابولو ومدرسة طه حسين كان أكثر من تأثرهم بمدارس الغرب ونظرياته (٢٥) .

ومع ذلك ، فان ما يحمد للرعيل الاول من أدبائنا حرصهم على تطعيم أدبهم المحلى بالافكار والاتجاهات الغربية الجديدة ، على الرغم من جهل معظمهم باللغات الاجنبية التى مكنت لاشقائهم العرب أن يحتلوا مراكز الاستاذية في هذا المضمار . ويبدو أن العواد كان من أوائل المتحمسين للحضارة الغربية ، المعجبين بأثارها اعجابا شديدا مما جعل صديقه ابراهيم آشى ـ في مقدمته لكتاب « خواطر مصرحة » ـ يلومه على تطرفه في هذا الاتجاه فيقول : « وهناك نظرة أخرى نحب أن نناقش الاستاذ [العواد] فيهاوهو تغنيه بالغرب وولوعه بذكر عجائبه ، وتمجيده ودعاوُنا الى مضاهاته ، مما تكاد مقالاته لا تخلو منه .. » (٢٦) .

وحقيقة الامر أن العواد لم يكن الوحيد بين أدبائنا الذين اتجهوا صوب الغرب معجبين بفلاسفته ومفكريه وأدبائه ، بل كان هناك رفاق له ممن تلمس في كتاباتهم هذا الاعجاب ، ونذكر منهم ، على سبيل المثال ، حسين سرحان وحمزة شحاته وعزيز ضياء ومحمد حسن فقى وسيف الدين عاشور . واذا كنا لن نستطيع في هذا البحث تتبع آثار الترجمة في انتاج أدبائنا ، فلا أقل من أن نشير الى الواضح منها ، وتتمثل اكثر ما تتمثل في معارضة الآثار الغربية ، (٢٧) أو اعادة صياغتها ،

---

(٢٤) ابو زامل ـ قصة الجيل الماضى (مطابع دار قريش ، ط ٢ ، مكة المكرمة) ص ١٣١ ـ ١٣٢ ؛ وانظر لكاتب البحث : « الرواية في الأدب السعودى الحديث » ، مجلة كلية الأداب ـ جامعة الرياض (المجلد الثالث ١٩٧٣/١٩٧٤) ص ١٢ وما بعدها .

(٢٥) احمد عبد الغفور عطار : المقالات ، ص ٢٠٨ .

(٢٦) خواطر مصرحة ، ص ١٢ .

(٢٧) انظر ، مثلا ، معارضة الغزاوى لقصيدة كبلنج الشهيرة التى يقول فيها « الغرب غرب والشرق شرق ولن يجتمعا » ، فقد عارضها شاعرنا بقصيدة عنوانها : « هذا هو الشرق » . صحيفة أم القرى ، ع ٢٢٣ ، س ٥ (١٩٢٩) ص ٣ .

أو عرضها والتعليق عليها . وقد كانت الطريقتان الاخيرتان أكثر الاتجاهات شيوعا بين أدبائنا الذين كانوا ينحون نحو التجديد خلال هذه الفترة .

ولا بد أن نؤكد هنا أن استيحاء أدبائنا للنماذج الغربية لم يكن يهدف الى غاية محددة أو يسير على طريقة منهجية منظمة . فربما وصل الاثر المترجم الى الشاعر أو الاديب عن طريق الصدفة ، فقرأه وانفعل به ، وساقه ذلك الانفعال الى اعادة صياغته أو الكتابة عنه . نرى ذلك واضحا فيما فعله حسين سرحان ببعض ابيات جون ملتون في « الفردوس المفقود » ، فقد عثر عليها ــ كما يذكر ــ معربة نثرا في أحد اعداد جريدة « السياسة الاسبوعية » ، فأحب هو أن يترجمها شعرا من النص العربي المنثور، ولم يكتف بهذا بل صدر ترجمته بنبذة عن حياة ملتون ومكانته الشعرية (٢٨) ويبدو أن الصدفة وحدها هي التى ساقت السرحان مرة أخرى الى شاعر آخر وهو شكسبير اذ عثر على قصيدته « الموت » مترجمة نثرا في بعض قراءاته ، فاعجب بها وصاغها شعرا (٢٩) .

واذا كانت الصدفة قد تحكمت في عملية اختيار أدبائنا للنماذج الغربية ، فان هذا لا يعنى بالضرورة انقطاع الصلة تماما بين الاديب وبين تلك النماذج . وهذا ينطبق على السرحان نفسه بصورة خاصة الذى نجد في ديوانه « أجنحة بلا ريش » ميلا واضحا الى التشاؤم والحزن (٣٠) . ولا شك ان اختياره لقصيدة « الموت » لشكسبير انما يعكس ذلك الميل المتأصل في نفسه منذ وقت مبكر ، وهو يعترف في بعض مقالاته بانه ميال بطبيعته الى الحزن ، وان الحزن صفة غالبة عليه (٣١) . ولم يكن الحزن والتشاؤم صفتين اختص بهما السرحان ، بل انهما كادا يكونان ظاهرة في أكثر أشعار الشباب ــ مثل العواد والآشي والفقي ــ من جيل ما بين الحربين فنحن نلمس في آثارهم جميعا تاثير الحركة الرومانسية العربية في الشعر ، ولا سيما مدرسة ابولو وشعراء المهجر ، التى كانت متأثرة بدورها بالمنابع الأصلية للرومانسية في أوربا (٣٢) .

أما عرض الآثار الغربية المترجمة والتعليق عليها فقد كانت من الأمور المألوفة في صحافتنا المحلية خلال هذه الفترة . ومن أطرف التعليقات التى كتبت عن تلك الآثار ما ختم به محمد حسن فقى ملخصه لكتاب « الأمير » لنيقولا ماكيافلى ، اذ خاطب المؤلف بهذه الكلمات : « نيقولا مكيافلى : ما أحد ذهنك وما أثقب بصرك وما أصوب حكمك ، ان لك عقل الرجل العبقرى ، ولكن قلبك قلب حيوان غشوم فاتك

---

(٢٨) انظر ترجمة السرحان لقصيدة ملتون فيجريدة صوت الحجاز، ع ١٨٩ ، س ٤ (١٩٣٦) ، ص ٤ .

(٢٩) حسين سرحان : « مناوشات ومناقشات » ــ صوت الحجاز ، ع ٢٣٩ ، س ٥ (١٩٣٧) ، ص ١ .

(٣٠) انظر ، مثلا ، قصائده : « الدودة الأخيرة » ، « وهم الدنيا » ، « وهم الخلود » ــ أجنحة بلا ريش (بيروت ، ١٩٦٨ م) ص ٢٠ ، ٨٧ ، ١٦٣ .

(٣١) « مناوشات ومناقشات » ــ صوت الحجاز ، ع ٢٣٩ ، س ٥ (١٩٣٧) ، ص ١ .

(٣٢) انظر للكاتب : معجم المصادر الصحفية ، ص ٣٠ .

..» (٣٣) . وفي عرضه لرواية « رفائيل » للشاعر الفرنسي لا مرتين ينتقد الفقى مترجم الرواية ، احمد حسن الزيات ، فيقول انه على الرغم من جودة الترجمة الا ان الزيات قد بالغ في عنايته باللفظ مبالغة كادت « أن تخنق العواطف الثرة العميقة التى تنساب بين حفافى الرواية » (٣٤) . ولم يكتف أدباؤنا بعرض الآثار الغربية ونقدها ، بل أعجبوا كذلك بالآثار الشرقية التى تعكس روح الشرق وفلسفته ومثله وأبرزها آثار طاغور ومحمد اقبال . (٣٥)

● القضايا النقدية :

احتدمت المعارك النقدية بين أدبائنا في فترة ما بين الحربين حتى كادت تطغى على جزء كبير من انتاجهم النثرى . ويرجع ذلك ، فيما يبدو ، الى روح النقد التى كانت مسيطرة على المناخ الداخلى للبلاد في ذلك العهد ، ابتداء بالثورة العربية سنة ١٩١٦ م ، وانتهاء بفتوحات عبد العزيز في سبيل توحيد البلاد ولم أجزائها المتناثرة. ومن ناحية أخرى ، فان أدباءنا قد تأثروا ـ كما أسلفنا ـ بالبيئات الأدبية المجاورة ، ولا سيما مصر التى كانت تتميز بين الحربين بشدة المعارك النقدية واتساعها وحدتها .

ولكن النقد الأدبى في مصر ـ على الرغم من حدته والتوائه احيانا ـ لم يخل من قضايا مهمة يدور حولها ، أما في بيئتنا الأدبية فقد كان مقلدا ضائعا ، ليس له قضية أو وجهة معينة . ولعل أهم القضايا النقدية التى ثارت حولها المعارك في مصر هى قضية القديم والجديد ـ القديم كما يمثله الشعراء والكتاب الكلاسيكيون من أمثال شوقى وحافظ والمنفلوطى والرافعى ، والجديد كما يمثله عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى وطه حسين وغيرهم من الجيل الجديد من الأدباء المتأثرين في ثقافتهم وأذواقهم ومقاييسهم النقدية بالثقافة الغربية .

ان قضية القديم والجديد لم تثر في بيئتنا الأدبية ما يستحق الذكر اللهم الا اصواتا خافتة ليست في مجموعها سوى انعكاس لما يدور في البيئات الأدبية المجاورة . ومن أمثلة تلك الأصوات ما كتبه العواد في « خواطر مصرحة » عن البلاغة العربية ، اذ نراه يحمل على البلاغة القديمة التى تدور حول الموضوعات التقليدية كالغزل والنسيب ، ويحمل على من يمثلونها من الأدباء المحليين ، ويقول مخاطبا الناشئة بهذه العبارات الحماسية الملتهبة :

---

(٣٣) محمد حسن فقى : « يوميات » ، صوت الحجاز ، ع ٢٠٨ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ١ .

(٣٤) محمد حسن فقى : « يوميات » ، صوت الحجاز ، ع ٢٠٧ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ١ .

(٣٥) انظر لاحمد عبد الغفور عطار تحليلا مطولا لقصة طاغور : « البيت والعالم » ، صوت الحجاز ، ع ٢١٦ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٤ .

« ‏٠٠ حطموا عن خيالاتكم هياكل الاجلال لهذه الأسماء ، انما عظموا أصحابها كشعراء أو كبلغاء ، واحرقوا تلك الأوراق وامحوا تلك القصائد وهاتيك المقطوعات المأخوذة من تراثهم ، وطهروا أفكاركم الصغيرة الحرة من تلك الأمراض والسموم وتلك الجراثيم والميكروبات والأوبئة ٠ ثم ألا يمكن ولو مؤقتا أن تستبدلوا بقصائد الأشرم قصائد عمر عرب ، وبمقطوعات برادة وعبد الحق مقالات سعيد العامودى وجميل حسن ؟ » ٠ الخ (٣٦) ٠ والحقيقة أن العواد لم يكن ليعبر عن معركة نقدية حدثت فعلا في الحجاز بين القديم والجديد ، بل صدى لما كان يردده المهجريون بصورة خاصة عن البلاغة العربية ، سواء في أفكاره ومعانيه ، أم في صياغة تلك الأفكار والمعانى (٣٧) ٠ ولقد ظل الشعراء التقليديون ــ الغزاوى وابن بليهد وابن عثيمين وفؤاد شاكر الخ ــ يملأون الصحف بانتاجهم المتأثر بالشعر العربى القديم دون أن يدخلوا طرفا في النزاع الذى تخيله العواد وغيره من الشباب المتحمسين للجديد في تلك الفترة (٣٨) ٠

واذا ما استبعدنا قضية القديم والجديد ، وجدنا ان معظم ما تناوله النقد في بلادنا كان مرتكزا في الدرجة الاولى على الخصومات الأدبية ٠ وأكثر تلك الخصومات كانت بعيدة كل البعد عن روح النقد المنهجى الصحيح ، فهى اما فضيحة لسرقة أدبية ، او هجوم على الأثر المنتقد ، وربما وصل الأمر بالناقد الى حد التجريح والاقذاع ٠

لم تكن السرقة الأدبية بمستغربة ، ان حدثت ، في وقت كان أدبنا يمر فيه بمرحلة التكوين التى تحدثنا عنها ، وكان زمام الحركة الأدبية التجديدية في أيدى شباب يتطلعون الى الشهرة السريعة عن طريق الأدب والصحافة ٠ على أن الذين مارسوا النقد في ذلك العهد لم يفرقوا في كثير من الاحيان بين التأثر والسرقة ، بل مضوا يهاجمون لهذه أو لتلك ٠ ولا اعتقد أن الجرجانى ، رحمه الله ، كان يقصد بلفظ «السرقة» مجرد « الانتحال » والا لما قال عبارته المشهورة في « الوساطة » : « والسرق ــ أيدك الله ــ داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر

---

(٣٦) خواطر مصرحة ، ص ٢٨ ٠

(٣٧) Cf. M. A. El-Shamikh, A Survey of Hijazi Prose Liteature in the Period 1908-1941. With Some Reference to the History of the Press (an unpublished Ph.D. thesis, S.O.A.S., University of London 1967), P. 236.

(٣٨) Ibid. , p. 236 ، لقد حاول محمد حسن كتبي ان يثير قضية القديم والجديد حول الغزاوى خاصة عندما نشر ثلاث حلقات حول هذا الموضوع ، ولكنه توقف بعد الحلقة الثالثة ، ولم تحدث مقالاته اى رد فعل من جانب الغزاوى او من جانب المدافعين عن القديم ٠ انظر هذه المقالات في جريدة « صوت الحجاز » ، الاعداد : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، س ٢ (١٩٣٤) ، ص ١ ٠

ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه ، ومن هنا ، فاننا لا نستطيع اليوم أن نلوم العواد ، مثلا ، ان تأثر في مطلع حياته بميخائيل نعيمة ، او نلوم السباعى ان تأثر بجبران ، أو نلوم السرحان ان تأثر بالمازنى ، او نلوم العطار ان تأثر بالعقاد ، او نلوم عزيز ضياء ان تأثر بطه حسين وهكذا ٠

أما السرق بمعنى انتحال الأثر الادبى فأمر مرذول لا يقره أحد في القديم أو الحديث٠ رلقد استطاع بعض كتابنا أن يكشفوا جانبا من هذه السرقات وأن يشهروا باصحابها ، كما فعل احمد عبد الغفور عطار في مقال له بعنوان : « لصوص الأدب أو مجانين الشهرة » اذ بين فيه ان احدى مقالات « صوت الحجاز » منقولة نقلا حرفيا عن مجلة « الصباح » المصرية ٠ وقد اتى العطار بنصوص من المقالتين تثبت مواضع السرقة ، كما أشار الى أن الكاتب المحلي لم يكتف بانتحال المقالات ونشرها في الصحف المحلية ، بل انه كان يفعل ذلك بالنسبة للصحف والمجلات المصرية ، فقد سرق مقالا ونشره بعنوان : « يا بلادى » في مجلة « الرابطة العلمية » بمصر ، كما نشر مقالا آخر بعنوان : « الفروق الطبيعية بين المرأة والرجل » في جريدة « الاهرام » ثم في مجلة « الشباب » ، وهو مسروق ـ كما يقول العطار ـ من مقال لأحمد أمين في مجلة « الهلال » (٣٩)

ومما تجدر الاشارة اليه أن العطار نفسه لم ينج من مثل هذا الاتهام ، عندما نشر باكورة انتاجه الأدبى في شكل كتيب سماه « كتابى » سنة ١٩٣٦ م ٠ لقد اتهمه سيف الدين عاشور بانتحال ترجمة الشاعر الألمانى شيلر من مقالة لمحمد عبد الله عنان في مجلة « الرسالة » ، كما ان العطار ، كما يزعم عاشور ، قد أخذ ما كتبه عن المتنبي من كتابات العقاد والمازنى في « مطالعات في الادب والحياة » و « حصاد الهشيم » ٠ وقد أتى الناقد بجملة من النصوص قارن فيها بين ما كتبه العطار وما كتبه كل من المازني والعقاد (٤٠) ٠

ويبدو أن السرقات الادبية لم تكن نادرة الحدوث في صحفنا المحلية اثناء هذه الحقبة ، مما دعا حمزة شحاته ، في احدى مقالاته الساخرة ، الى القول بانه لن يقلد أحدا ولن يسرق بعد أن عمت الفوضى وانتشر التقليد وأصبح أكثر الادباء لصوصا (٤١) ٠ وقد أيد محمد حسن كتبي ما قاله حمزة شحاته عن ظاهرة الفوضى والتقليد واللصوصية في ادبنا المحلى ، كما ادعى احدهم بأن لديه من الأدلة ما يثبت أن كثيرا مما ينشر في صحف الحجاز كان مسروقا وطالب المسؤولين عن الصحافة بأن

---

(٣٩) انظر : صوت الحجاز ، ع ٢٢١ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٣ ، وانظر مقالا آخر للعطار بعنوان : « رد على رد » ، وفيه يكشف عن سرقة أخرى ، صوت الحجاز ع ٢١٣ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٤ ٠

(٤٠) نشر سيف الدين عاشور سلسلة من المقالات في نقد العطار بعنوان : « كتابى للأديب احمد عطار ـ نقد وتحليل » وكان يوقع تحت الاسم المستعار : « جرير » ـ انظر جريدة « ام القرى » الاعداد : ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٩ ، س ٢٣ (١٩٣٦) ٠

(٤١) حنتشعيات ـ هول الليل ، صوت الحجاز ، ع ٢٢٥ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٤ ٠

يضعوا حدا لتلك الفوضى (٤٢) وكأن جريدة « صوت الحجاز » قد استجابت بالفعل لهذا النداء عندما أصدرت البيان التالى غب اكتشافها لاحدى السرقات : « ٠٠٠ اننا لنأسف أشد الأسف على وقوع ذلك ، مما يجعلنا ضعيفى الثقة الأدبية بمكانة أدبنا التى بدأنا نتوقع لها سمعة طيبة تشرف الأدب الحجازى وترفع من مقامه في البلدان الأخرى وبين الأوساط الادبية ، ونتمنى أن تكون هذه الجناية آخر المآسى المحزنة ٠٠٠ » (٤٣) ٠

ومهما كان موقف المتشائمين والمشفقين على مستقبل أدبنا في ذلك العهد ، فالذى لا شك فيه أن السرقات الادبية لم تكن من الخطورة بحيث تنفى عن روادنا الأدباء كل أصالة وابتكار ، بل اننا لا نعرف من أدبائنا الجادين من يمكن وصمه بهذه التهمة ٠ وقد كانت السرقات الأدبية منتشرة بين شداة الأدب في مصر بين الحربين شكا منها طه حسين عندما كان رئيسا لتحرير بعض الجرائد والمجلات الأدبية ، وأرجعها الى عبث جماعة من الشبان كانوا « يعمدون الى مثل هذا في شيء من الفكاهة وحب العبث يريدون أن يضحكوا من الصحف ومن رؤساء التحرير ، فيدخلون عليهم فصولا يضيفونها لانفسهم مع أنهم ليسوا منها في شيء ، يقصدون الى ذلك عمدا ، حتى اذا تم لهم ما أرادوا ، تندروا بالصحيفة وبرئيس تحريرها ٠ قساة لا يعرفون رحمة ولا اشفاقا ٠٠ » (٤٤) ولا ريب أن هذه حالة تنطبق على فئة من أدبائنا بين الحربين ، كما تنطبق على فئة ثانية منهم ما قاله طه حسين كذلك ان هناك « جماعة من الناس يتكلفون الادب وليسوا منه في شيء ، أو يصطنعون الادب وهم أدباء ، ولكنهم لايحرصون علىالنزاهة الدقيقة فيصناعة تحتاج الىالنزاهة أشد الاحتياج» (٤٥)

والى جانب السرقات الادبية التى أضاعت قدرا كبيرا من جهد أدبائنا في تتبعها والتحرى عنها ، فلقد ضاع قدر آخر من جهودهم في خصومات شخصية لم يحظ منها النقد الا بالجزء اليسير ٠ اختصم عبد المقصود والسباعي حول مقالات كانت تنشر لهما في جريدتى « أم القرى » و « صوت الحجاز » (٤٦) ، واشتبك العواد مع الانصارى حول قصتين للأخير : « التوأمان » و « مرهم التناسى » (٤٧) ، وقام العواد كذلك بهجوم كاسح على السرحان لانقضاض الاخير على مقدمته لكتاب

---

(٤٢) انظر ، م٠س٠ع : «هى فوضى أدبية حقا» ، صوت الحجاز ، ع ٢٢٠ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٤ ٠

(٤٣) « السرقات الادبية » ، صوت الحجاز ، ع ٢٣٣ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٢٠

(٤٤) حديث الاربعاء (دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٢) جـ ٣ ، ص ٢٢٦_٢٢٧ ٠

(٤٥) المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ٠

(٤٦) انظر مثلا ، ابن عبد المقصود : « على هامش ملاحظات حرة ــ الى الصديق السباعى » ، صوت الحجاز ، ع ٢١٣ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ١ ، السباعى : « ملاحظات حرة ــ على هامش ابن عبد المقصود » ، صوت الحجاز ، ع ٢١٤ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ١ ٠

(٤٧) انظر محمد حسن عواد : تأملات في الأدب والحياة ــ فصول وابحاث متفرقة كتبت من سنة ١٣٥١ الى سنة ١٣٥٥ هـ (مطبعة العالم العربى ، القاهرة ١٩٥٠ م) ص ١٠٢ ــ ١٢٠

العطار : « كتابى » (٤٨) ، وتصدى لكتاب العطار نفسه سيف الدين عاشور في سلسلة من المقالات العنيفة أشرنا اليها فيما سبق ، وشن « منسف » غارة شعواء على محمد سعيد عبد المقصود (٤٩) . وقام كثير غير هؤلاء بتبادل الاتهامات ، وتحلق القوم حول المتناظرين المتنافسين يشجعون هذا أو يحرضون ذاك ، وقد يخوض بعضهم المعركة للدفاع عن أحد المتنافسين لصداقة تربطهما أو لمجرد انتمائهما الى مدينة واحدة (٥٠) . وربما توسط بعضهم لاصلاح ذات البين و « تصفية » القلوب ، كما فعل الشيخ عبد الظاهر ابو السمح ـ امام المسجد الحرام ـ فقد نشر مقالة بعنوان « بين الغربال والمنسف ـ الصلح خير » دعا فيها الى الصلح بين « الغربال » و « المنسف » ، واستشهد بنصوص دينية على وجوب ذلك ، كما دعا مدير جريدة « صوت الحجاز » الى الامتناع عن نشر ما يثير الاحن والحزازات (٥١) .

واذا ما ضربنا صفحا عن الجانب الشخصى في هذه الخصومات ، وحاولنا ان نستخلص منها ما يفيد النقد الادبى في جانبه البناء ، وجدنا بالفعل جملة من الآراء والأفكار المتفرقة التى يمكن اضافتها هنا الى موضوع التجديد في الادب السعودى خلال هذه الحقبة . ومن هذه الآراء والافكار حديثهم عن العلاقة بين علم الجمال والفكر (٥٢) ، وحديثهم عن العلاقة بين الادب والحياة (٥٣) ، وفهمهم للصلة التى ينبغى ان تكون بين الاديب والمجتمع ، بل ودعوة بعضهم الى تقريب الشقة بين الاديب والجمهور (٥٤) .

ومما يلفت النظر حقا أن كثيرا من كتابنا كانوا ، خلال فترة البحث ، على وعى كامل بأهمية الارتباط بالبيئة والواقع الاجتماعى اللذين يعيش فيهما الاديب . يقول حسين سرحان ، في مقالة له بعنوان : « صلة الادب بالحياة » ، ان الادب لا بد له من الارتباط بالحياة ، وانه ينبغى على شعراء البلاد الالتفات الى الطبيعة « الكاسية والعارية » من جبال الحجاز ومفاوز نجد وغيرها ، حتى يكون لشعرهم قيمة ومعنى . ويستشهد السرحان بالشعر الجاهلى وصدقه في وصف بيئة الجزيرة وحياة الانسان العربي في ذلك العهد ، وهو يحمل من ناحية أخرى على شعر المناسبات وعلى سطحية

---

(٤٨) العواد : « تهويش وجحود » ، صوت الحجاز ، ع ٢٣٩ ، س ٥ (١٩٣٧) ، ص ٤ .

(٤٩) « معجزة عصرنا الزاهر ـ الغربال » ، صوت الحجاز ، ع ٤٤ ، ٤٥ ، س ١ (١٩٣٣) ، ص ٢٠،٨

(٥٠) انظر مثلا ، دفاع كل من عبد الحميد عنبر ، ومحمد الحافظ ، واحمد يسين الخيارى عن عبد القدوس الانصارى وهجومهم على العواد ـ صوت الحجاز ، ع ٨٤ ، ٨٥ ، س ٢ (١٩٣٣) .

(٥١) صوت الحجاز ، ع ٤٧ ، س ١ (١٩٣٣) ، ص ٢ .

(٥٢) انظر : م . س . ١ : «حرية الفن» ، صوت الحجاز ، ع ٢٢٢ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٤ ؛ احمد عبد الغفور عطار : «الفن» ، صوت الحجاز ، ع ٢٢٧ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ٤ .

(٥٣) انظر سيف الدين عاشور : «الأدب بين الشك واليقين» ، صوت الحجاز ، ع ٢٢٨ ، س ٥ (١٩٣٦) ص ٤ ؛ محمد حسن فقى « يوميات » ، صوت الحجاز ، ع ٢٠٦ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ١ .

(٥٤) احمد قنديل : «ادبنا ـ كلمة على هامش الموضوع» ، صوت الحجاز ، ع٢٢٤ ، س ٥ (١٩٣٦) ، ص ١

أمد الملك عبد العزيز بحنكته السياسية التي جمعت البلاد ووحدت الأمة الأدباء بالعديد من صور التفكير

الأدب المبهرج بالألفاظ الرنانة (٥٥) · ويقول عزيز ضياء ان غاية الادب ينبغى ان تكون « اصلاح الهيئة الاجتماعية اصلاحا يشمل العاطفة والعقل فيتولاهما بالصقل والتهذيب ، ويدفع بهما في سبيل ممهدة الى الكمال المطلق المنشود ، ويحاول أن يقضى على الغرائز الغشيمة المتركزة في طبيعة الانسان الحيوانية ويسمو بها في أجواء الفضيلة في حدودها القصوى ليتمكن الانسان من انسانيته على وجهها الصحيح » (٥٦) أما محمد حسن كتبي فيدعو الأدباء الى استيحاء طبيعة بلادهم واستلهام تعاليم دينهم وتصوير ملامح بيئتهم ، كما يريد من الادب ان يتسع ليشمل التعبير عن النواحى الاقتصادية للمجتمع ولا سيما تصوير الطبقات الفقيرة (٥٧) ·

هذه بعض الآراء والأفكار التى كانت تخوض فيها أقلام المجددين من أدبائنا بين الحربين · ونحن لن نبحث هنا عن مدى اصالة هذه الآراء والأفكار ، ولكننا نود أن نؤكد في ختام هذا البحث ان أدبنا كان يمر بين الحربين بمرحلة تاريخية جديدة لم يعهدها من قبل ، وهى مرحلة اليقظة والبناء والتفاعل مع الحياة · ومهما كانت الاصول والمنابع التى أمدت أدباءنا بالطريف من صور التفكير والتعبير ، فقد كانوا وسيظلون رواد هذه البلاد في بعثها الادبى وتجديدها الثقافى والفكرى ، بعد أن بهرهم عبد العزيز ، رحمه الله ، بحنكته السياسية التى جمعت البلاد ووحدت الامة · وتلك أصالة سياسية لا ريب فيها ·

د· منصور ابراهيم الحازمى

---

(٥٥) صوت الحجاز ، ع ١٨١ ، س ٤ (١٩٣٥) ، ص ١ ·
(٥٦) عزيز ضياء : « غاية الادب عندنا » ، صوت الحجاز · ع ٢٤١ ، س ٥ (١٩٣٧) ، ص ٤ ·
(٥٧) محمد حسن كتبى : « أيها الأدباء » ، صوت الحجاز ، ع ٩٣ ، س ٢ (١٩٣٤) ، ص ٣ ·